حضور الشّخصية التّاريخية في الرّواية العربية المعاصرة، رواية "ربيع الأندلس" لمحمود ماهر أنموذجا.

The presence of the historical personal in the contemporary Arabic novel The novel "The Spring of Andalusia" by Mahmoud Maher as a model.

*** إيمان كرفاح**

جامعة محمد لمين دباغين سطيف2، مخبر السرديات والأنساق الثقافية، (الجزائر)، im.kerfah@univsetif2.dz

د. زهيرة بارش

جامعة محمد لمين دباغين سطيف2، مخبر المثاقفة العربية في الأدب ونقده، (الجزائر)، z.bareche@univ-setif2.dz

تاريخ الاستلام: 2021/07/09 تاريخ القبول: 2022/06/26 تاريخ النشر: 2022/09/28

ملخص: تعدّ الشّخصية من أهم الأسس التي ينبني عليها النّص الرّوائي، لأنها المساهم الأساسي في تطور السرد. وبما أن الرّواية التّاريخية تتميز بتوظيف التّاريخ كان لزاما أن تتماشى المادة التّاريخية الموظفة مع شخصيات معينة منها التّاريخية ومنها المتخيلة. وحاولنا من خلال هذه الورقة البحثية رصد أهم السّمات التي تميز شخصيات الرّواية التّاريخية من خلال رواية "ربيع الأندّلس"، والتي من أهمها الحفاظ على البعد التّاريخي من ناحية والجمع بينها بين الشّخصيات المتخيلة للتعبير عن مختلف القضايا من ناحية أخرى.

كلمات مفتاحية: الشخصية التّاريخية، التّاريخ، الرّواية العربية، ربيع الأندلس، محمود ماهر.

Abstract: The personel is one of the most important foundations on which the fictional text is built, because it is the main contributor to the development of the narration. Since the historical novel is characterized by the use of history it was necessary to the historical material used is in line with certain personels, including the historical and the imaginary. This research paper attempts to monitor the most important features that distinguish the personels of the historical novel through the novel "The Spring of Andalusia", The most important of which is preserving the historical dimension on the one hand and combining them with imagined characters to express various issues on the other hand.

Keywords: The historical personal ; History ; The arabic novel ; The Spring of Andalusia; Mahmoud Maher.

***المؤلف المرسل**: إيمان كرفاح، **الإيميل**: im.kerfah@univ-setif2.dz

1. مقدمة:

تمثل الرّواية عملا سرديا أتاح للمبدعين التعبير عن مختلف القضايا التي تهمهم، منتهجين في هذا مختلف الأساليب والتقنيات. ويعتبر استثمار التّاريخ أحد هذه التقنيات، فيستحضر الرّوائي التّاريخ بشخصياته وأحداثه وأمكنته ويجمعهم بشخصيات وأحداث وأمكنة متخيلة أبدعها، ويتم ذلك بغرض الكشف عن حقيقة سابقة في قالب فني، أو الرغبة في مواجهة ماضي الشعوب بحاضرها، بما يحمله الطرفان من مواطن قوة وضعف. وهو ما اعتمده الرّوائي "محمود ماهر" في رواية "ربيع الأندلس" والتي يعود من خلالها إلى مرحلة تعتبر من أقوى مراحل الحكم الإسلامي في الغرب، في مقابلة بين حاضر مضطرب وماض مجيد.

وانطلقت ورقتنا البحثية من الإشكالية الآتية: ما هي انعكاسات توظيف الشخصيات التّاريخية في الخطاب الرّوائي العربي المعاصر؟ ولمعالجة هذه الإشكالية اعتمدنا على آليات المنهج البنيوي، وعلى تقسيم البحث لنقاط ترتكز على: تمهيد نظري

يتمحور حول الشّخصية الرّوائية والرّواية التّاريخية، لنرصد بعد هذا صورة الأندلس من خلال عتبة العنوان، ومن ثمة اشتغلنا على بنية الشّخصية بين التّاريخي والمتخيل، لنخلص إلى تحديد أبعاد الشخصيات في الرواية. وذيل عملنا بخاتمة تضم أهم النتائج المتوصل إليها من خلال هذا البحث.

2. الشّخصية الرّوائية:

1.2 مفهومها:

عرف مصطلح الشّخصية عدة مفاهيم، تعددت واختلفت باختلاف الباحثين وباختلاف توجهاتهم الفكرية، ومن بين هذه المفاهيم ما قدمه الباحث لطيف زيتوني الذي يعتبر أن الشّخصية: "كل مشارك في أحداث الحكاية، سلبا أو إيجابا"[1]؛ أي أنها كل مساهم في الأحداث بغض النظر عن نوع نشاطها سلبيا كان أم إيجابيا. وتعتبر الشّخصية من "أهم مكونات العمل الحكائي، لأنها تمثّل العنصر الحيوي الذي يضطلع بمختلف الأفعال التي تترابط وتتكامل في مجرى الحكي"[2]، فهي إذا المسؤولة عن الأفعال في النص الروائي. ومما سبق يتضح أنه لابد أن "يتضمن كلّ مقام حكائي شّخصية واحدة على الأقل. فالقصة لكي تروى، تكون بحاجة إلى شخصية موضوعة في زمان ومكان خاصين بها"[3]، وهو ما يؤكد أهمية الشّخصية – التي ترتبط ببنيتي الزمان والمكان– في تطور السرد.

2.2 الشّخصية الرّوائية من الكلاسيكية إلى ما بعد الحداثة:

تغيرت نظرة النقاد والمبدعين للشّخصية الرّوائية بين الماضي والحاضر، بحيث "ألفينا المبدع يعمل على تقديمها كأنها شخصية نراها –في الواقع– متمتعة بصفة الحضور لا الخيال، نصاحبها ونتأثر بها، وما كان أساسيا في هذه الشّخصية هو تمتعها بصفات جسدية ونفسية وأخلاقية"[4]، أي أن المبدع في الأعمال الكلاسيكية كان يعمد لتقديم مختلف التفاصيل المتعلقة بالشّخصية ما ارتبط ببعديها الداخلي والخارجي."ومع منتصف القرن العشرين لاحت في أفق الكتابة الرّوائية العالمية بوادر جديدة، وبدأت ملامح الشّخصية الكلاسيكية في الرواية تفقد الكثير من قيمتها وخصائصها ومميزاتها، وتغيرت ملامح التجلي فيها، أو ملامح جمالياتها وبناءاتها الفنية في النّص الرّوائي المعاصر"[5]، فبدأت صورتها بالحيد عن المعهود باعتبارها العنصر الأهم في النص، "وبفعل عوامل متعددة ومجتمعة، في الآن ذاته، تغير مفهوم الشّخصية من منظور أعلام الرواية الجديدة، حيث ارتبط هذا التحول بكتاب الرّواية الجديدة في فرنسا، ومن أهمهم، **آلان روب غرييه (Alain Robbe Grillet)**، و**ميشال بوتور (Michel Butor)**، والكاتبة الشهيرة **ناتالي ساروت (Nathalie Saraute)**، **وكلود سيمون (Claude Simon)**، والذين أدركوا أن العالم بدأ يتجاوز تقديس الفرد وتأليهه، بحيث يسعى لتحقيق استقلاله عنه، وأن الفردية ما فتئت تضمر وتختفي تدريجيا، وتنحسر انحسارا، في ظل حياة اقتصادية قائمة على احتكار وتقديس الآلة وتأليه المادة، مقابل تهميش الإنسان وإقصائه"[6]. ومن هنا يتجلى أن حب كل ما هو مادي طغى على أهمية الإنسان في حد ذاته ومنه انعكس على الخطاب الإبداعي لتهمش الشّخصية وتفقد تلك المكانة السابقة، خاصة بعد أن "ارتفعت أصوات آخرين مطالبة بتحرير الرّواية من نمطها التّقليدي القائم، ونظامها السّائد، على الاهتمام الزائد بالشّخصية، والمبالغ فيه، إلى رواية حداثية (جديدة) تُقتل فيها الشّخصية الرّوائية وتموت، وتزاح من على وجود عالم الرّواية، بل ثمة أصوات أكثر جرأة دعت صراحة إلى القضاء المبرم على مفهوم الشّخصية وتخليص الرّواية منه كليا (...) ويندرج هذا التصور في سياق ما بعد الحداثة الموغل في استبعاد الذّات الإنسانية

وتجريدها من ملامحها الجمالية وبنيتها الفنية"[7]. ومنه يتأكد أن تهميش الشّخصية الرّوائية صورة أخرى عن تّهميش الفرد في مجتمعه في مقابل تقديس الماديات.

3. الرّواية التّاريخية:

1.3 مفهومها:

يعتبر النّقاد أن الرّواية التّاريخية "منطقة وسطى بين التّاريخ والأدب، يؤلف بينهما أن كلا منهما خطاب سردي، إلا أن التّاريخ خطاب نفعي يسعى إلى الكشف عن القوانين المتحكمة في تتابع الوقائع، في حين أن الأدب، والرّواية على وجه الخصوص، خطاب جماليّ تقدم فيه الوظيفة الإنشائية على الوظيفة المرجعية"[8]. ومنه يمثل السرد العنصر الجّامع بين الرّواية والتّاريخ، اللّذان يجتمعان في الرّواية التّاريخية، والتّي "تعنى بسرد الأحداث التّاريخية في صورة فنية، تمزج بين حقائق التّاريخ وخيال الكاتب، بهدف التّعليم والتّسلية وأخذ العبرة عن السابقين، بتقديم التاريخ في سياق حكايات تكون أكثر تشويقا للقارئ، لمطالعتها ومعرفة العصر الذي دارت فيه جوانبه المتعددة (سياسي واجتماعيا وفكريا...إلخ)"[9]. ومنه تصبح الرّواية وسيلة للإطلاع على التّاريخ في قالب فني يجمع بين المتخيل الذي يعتبر اللبنة الأساسية التي تنبني عليها الرواية، والتاريخي الذي يعد أساس المؤلفات التاريخية التي تلتزم علمية المعالجة والطرح، لأن "المؤرخ يصف سلسلة من الوقائع ولا ينتج خطابا ويذهب الرّوائي في إتجاه مختلف، تتفكك فيه كتابة المؤرخ وهي تنتشر في بنية كتابية مغايرة، لم تعرفها أبدا"[10]. فالرّواية إذاً "في انصهارها مع التّاريخي سواء أكان ماضيا غابرا أم واقعا معيشا تُنتج نصها الذي يواجه انفراد التّاريخ، واصطلاحه، بتسجيل أحداث ماضية، وارتجاعها، أي أن الرواية بوصفها جنسا أدبيا تمثيليا انتقلت بالمعرفة التّاريخية، وطرق انتاجها من بنية التّأريخ إلى نسق التّآرخ، فالأول يمثل نصّا حجاجيا ذا طبيعة علمية، والثاني يمثل نصّا حجاجيا ذا طبيعة تأويلية، حيث لم تعد الرّواية تقتبس التّاريخ فحسب، بل صارت تأخذ من التّأريخ وتمده في الوقت نفسه بتّاريخ آخر يتسم بالإبداعية، ونفوذ التّأويلات"[11]. ومنه تخرج الرّواية التّاريخ من صورته الأولى إلى صورة أخرى تمثل شكلا إبداعيا يتخذ من التّاريخ مادة تصطبغ بلمحة تّخييلية.

2.3 الرواية التّاريخية من الأدب الغربي إلى الأدب العربي:

كان الظهور الأول للرّواية التّاريخية مرتبطا بالأدب الغربي، إذ"يعتبر النقاد أن الرّواية التّاريخية بمعناها الإصطلاحي لم تظهر في الغرب إلا في مطلع القرن التّاسع عشر مع "**والتر سكوت**" (1771- 1832)"[12]، "ويعود ذلك خصوصا، إلى عام 1814 حين ظهرت له رواية (**Waverley**)"[13]، كما يعد كل من بلزاك، وأناتول فرانس، وفيكتور هيجو روادا للرّواية التّاريخية الغربية بما أنتجوه من أعمال قدمت صورة عن التّاريخ الغربي[14] حيث تناولت عدة أحداث عاشها الغرب، "وقد اتخذت الرّواية التّاريخية أشكالا متعددة، منها ما حاول بعث حقبة تّاريخية في أمانة ودقة، ولم يتجاوز هذا الإطار المحدود، واهتم في المقام الأول بالطابع المحلي، ومنها ما بعث التّاريخ الماضي لكي يجري عملية إسقاط على الحاضر، بغية نقد هذا الحاضر وتغييره، ومنها ما انطلق من الواقع التّاريخي وحوّله إلى خيال صرف"[15]. ومن هنا يتضح أن الرّواية التّآريخية الغربية استحضرت التّاريخ لتنقد وضعية المجتمعات، والأحوال التي عاشها الفرد في ما سبق.

وبعد ظهور الرّواية التّاريخية الغربية بدأت بوادر ظهور نظيرتها في الأدب العربي، خاصة وأن "الرّواية العربية قد ارتبطت أساسا منذ بداية نشأتها بمحاولة إبراز الهّوية القومية، وبلورتها في مواجهة الآخر الغربي المستعمر (...). في فترة لاحقة بدأت

الرّوايات تستعيد من التّاريخ بعض أسمائه ورموزه، وتحاول أن تتّخذها سببا أو ستارا لاستنهاض الهمم وإبراز البطولة والتّذكير بالماضي من أجل استعادته، ولمواجهة القوى الظّالمة"[16]، ذلك أنهم وجدوا في هذا الماضي ما يعز الأمّة العربية الإسلامية. و"وسط تفاعل النصوص المؤلّفة والمعّربة التي شاعت في النّصف الثاني من القرن التّاسع عشر (...) ظهرت على التوالي تّاريخيات زيدان لتقدم أول سلسة شبه متكاملة، تقوم على تمثيل سردي تاريخي للأحداث العربية الإسلامية منذ العصر الجاهلي إلى الانقلاب العثماني في نهاية العقد الأول من القرن العشرين"[17]، وقد "ألف أكثر من عشرين رواية تاريخية منها (المملوك الشارد- شجرة الدر- الحجّاج بن يوسف- عبد الرحمن الناصر (...) وسار على دربه محمد فريد أبو حديد، وعلى الجارم/ ومحمد سعيد العريان/ ومعروف الأرناؤوط...إلخ"[18]، وغيرهم من المبدعين الذين اتخذوا من المادة التّاريخية سبيلا للتّعبير عن وضعية المجتمعات العربية.

4. صورة الأندلس من خلال عتبة العنوان:

يمثل العنوان أول عتبة تواجه المتلقي، ومثلما قد تساهم في جذبه إلى العمل الأدبي قد تساهم في التّنفير منه، لهذا يعمل المبدعون على الاهتمام بعناوين أعمالهم، لأنهم يدركون أهميتها في بناء التصور الأولي حول النّص، وأهميتها في تشكيل دلالته.

وقد حملت رواية المبدع "محمود ماهر" - التي تم الاشتغال عليها- عنوان: "ربيع الأندلس"، وكما هو متعارف يمثل الرّبيع أزهى فصول السنة، تزدان الدنيا وتبتهج في هذا الفصل، والذي اقترن على مستوى العنوان باسم إمارة تعدّ من أهم الإمارات الإسلامية على مرّ العصور ألا وهي "الأندلس"، وهي الإمارة الإسلامية التي مثلت أيقونة الجمال، ومركز تناول العلوم بشتى فروعها، وما قُدم في الرواية هو انعكاس لأزهى عصورها، ألا وهو عصر الخليفة النّاصر لدين الله "عبد الرحمن الثالث" الذي وإن كانت الأندلس قبله جميلة و قوية، صارت في عهده الأجمل والأقوى. ويتضح هذا جليا من خلال ما جاء في الرّواية، وهو ما يوضّحه هذا المقطع: "بلغت الأندلس في عهد الناصر ذروة الرخاء والنعماء والأمن والعزة، وازدهرت الزّراعة والتّجارة والصّناعة والعلوم والآداب والفنون، وشمل الأمن سائر أطراف المملكة، ورخصة كلفت العيش..."[19]، وغيرها من مظاهر الحياة التي تثبت أن العنوان عكس مضمون الرواية، لأن عصر النّاصر مثّل حقّا ربيعا ازدانت وتوهجت بحلوله الأندلس.

5. بنية الشّخصية في رواية "ربيع الأندلس" بين التّاريخي والمتخيل:

1.5 الشّخصيات التّاريخية:

تتميز الرّواية التّاريخية بعدة سمات، من بينها أنها "تزاوج عادة بين الشّخصيات التّاريخية والشّخصيات المتخيلة، إلا أن الأمر لا يقف عند هذا الحد، وإنما يتجاوزه إلى ظاهرة أخرى هي إسناد أعمال لا تاريخية إلى الشّخصيات التّاريخية، وأعمال تاريخية إلى الشّخصيات المتخيلة. ومن ثمة فإن الشّخصية في الرّواية التّاريخية محل يتقاطع فيه التّاريخي والرّوائيّ، والعام والخاص، والمرجعيّ والجماليّ"[20]، وهو ما يمكن رصده من خلال رواية ربيع الأندلس، والتي جمعت بين شخصيات تّاريخية "وهي التي يستوحيها الكاتب من كتب التّاريخ وأحداثه"[21] وبالتالي ثبت وجودها من خلال ما جاء في المؤلفات التّاريخية، وبين شخصيات متخيلة من إنتاج مخيلة المؤلف. ولعل أهم شخصية تّاريخية في الرواية هي شخصية:

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله: مثّلت شخصية "النّاصر لدين الله" نواة الرواية، بها بدأت وإليها انتهت بوفاته التي روتها سطورها. ومما يلاحظ في بناء هذه الشّخصية أن الرّوائي لم يسْع إلى الخروج عن البعد التّاريخي لها، لأنه "إذا كانت الرواية نصا تخييليا ينهض على مرجعية واقعية في كثير من الأحيان، فإن الرواية التاريخية ستكون نصّا تخييليا يعتمد على مرجعية تاريخية في كل

الأحيان"[22]، وهو ما نلاحظ تحققه بمحافظة الرّوائي على بعدها التّاريخي انطلاقا من حياته الشّخصية ونشأته، وصولا إلى سياسيته في الحكم. ورغم أن الشّخصية هنا اصطبغت بصبغة تّاريخية فذلك لا يعني أنها "مجرد صورة لشخص مرجعي، وإن كانت بتكونها تحيل عليه (...) بل هي عملية بناء وتكوين بوسائط تقنية تقوم في الرواية بمهمة الإحالة، عند القراءة، على عالم الواقع المرجعي"[23]، وهي بهذا شخصية روائية وإن كانت تحيل على مرجعية تاريخية، إذ تربطها علاقات بشخصيات متخيلة تؤثر فيها وتتأثر بها.

وبالرجوع للشّخصية الرّئيسة في الرواية نلاحظ أن المؤلف لم يعمل على إضفاء صبغة تكرس بطولة "الناصر لدين الله" لأن الأصل كان "بطلا"، هو خليفة المسلمين في الأندلس، والذي اعترفت له العرب والغرب قاطبة بالقوة والدهاء، حتى أنه "احتفلت الحكومة الإسبانية في عام 1961 بمرور ألف عام على وفاة عبد الرحمن الثالث كواحد من أعظم حكّام هذه الديار على مر التّاريخ"[24]. وقد قدمت الرّواية صورة شبه مفصلة عن حياته من بداية توليه الحكم شابا يافعا حتى وفاته، مع التركيز على إنجازاته، خاصة وأنه "لم تصل الدولة الإسلامية في الغرب إلى ما وصلت إليه — في عصر الناصر– من القوة والسؤدد والهيبة والنفوذ، وكان يتمتع بخلال باهرة قلما تجتمع في شخصية واحدة، سياسية وعسكرية وإدارية، وكان يشبه في حزمه وصرامته وبُعد نظره جدّه الأكبر عبد الرحمن الداخل"[25].

بالعودة لما سبق يمكن القول إن الشّخصية التّاريخية "عبد الرحمن الثالث" مثّلت الشّخصية الرئيسة في رواية ربيع الأندلس، وذلك لأنها ارتبطت بأغلب الأحداث المهمة التي تناولتها الرواية، والتي كان أبرزها أحداثا تّاريخية متعلقة بتولي النّاصر للخلافة، إلى جانب الفتوحات التي قادها بنفسه، وصولا لما قدمه من اهتمام لبناء دولة إسلامية قوية خارج بلاد العرب.

ضّمت الرّواية إلى جانب شخصية الخليفة "عبد الرحمن الثالث" عدة شخصيات تّاريخية أخرى، عمل الروائي على التركيز على دورها، وربطها بإنجازات الخليفة "الناصر لدين الله"، وبالتطور الذي عرفته الأندلس في عهده، انطلاقا من التمسك بتعاليم الدين الإسلامي والاهتمام بالفتوحات، إلى التطور العلمي والأدبي والاجتماعي، ومن بين تلك الشخصيات:

الأمراء	الفقهاء	القادة	الشرطة	الأطباء	القضاة	المهندسون	الشعراء
عبد الله بن محمد	أحمد بن مطرف	عبد الله بن محمد بن أبي عبده	ابن وليد الكلبي	حسداي بن شبروت	أحمد بن زياد اللخمي	عبد الله بن بدر	منذر محمد بن عبد الرحمن
محمد بن عبد الله بن محمد		عبد الملك بين عبد الله بن أمية	أحمد بن محمد بن حدير		المنذر بن سعيد		أبو عمر أحمد ابن عبد ربه
المطرف بن عبد الله بن محمد							

ومن خلال الشخصيات التّاريخية الواردة في الجدول السابق وغيرها، قدم صاحب النّص صورة عن النّظام السياسي والاجتماعي الذي أرسى قواعده الخليفة عبد الرحمن الثالث في الأندلس، مظهرا قوّة النظام السائد أن ذاك وحكمة الخليفة في توجيه أمور الدولة.

وضمت الرّواية إلى جانب الشخصيات السابقة الذكر شخصيات "غربية تاريخية" كثيرة من بينها: الكونت جونثالث، ألفونسوا الثالث (أولاده: غارسييه، أردونيو وفرويلا. وزوجته خمينا)، بيتر (ملك الصقالبة)، لويس الرابع (ملك فرنسا)، أوتو (ملك جرمانيا)، طوطة (ملكة نافارا). وغيرهم من الشّخصيات الغربية التي جمعتها مع الناصر حروب ونزاعات فصلها لصالحه.

2.5 الشّخصيات المتخيلة:

جمعت رواية "ربيع الأندلس" بين الشّخصيات التّاريخية والمتخيلة، معتمدة الفنية في تّوظيف التّاريخ، لأن الرّواية التّاريخية لا تقوم "أبدا بتصوير الأحداث للرائي لأن صفحات التّاريخ كفيلة بأداء هذه المهمة الشاقة، وإنما تكمن قيمتها في مدى براعة الكاتب في استغلال الحدث وكسائه حلة جديدة من خلالها يمكنه معالجة قضية حية من قضايا مجتمعه الراهنة"[26]، مسقطا بذلك أوضاع الماضي على الحاضر، لمقارنة حال المسلمين اليوم بما مضى.

ومن بين الشّخصيات المتخيلة التي وردت في الرواية: الجد خليل، فاتيما، يوسف، عمرون، سمية، الشيخ أبو محمد. وغيرها من الشّخصيات التي لم ترتبط بالمادة التّاريخية المستثمرة في الرواية ارتباطا مباشرا، بل تعلقت بما هو متخيل وتّاريخي. إذ تعد شخصيات مرّر الروائي من خلالها عدة قضايا أهمها: **قضية المورسكيين**، والمورسكيون "هم المسلمون الذين أجبروا على اعتناق المسيحية بعد سقوط الأندلس، وتحديدا عند سقوط غرناطة سنة 1492م، ومع أن الإسبان قصدوا بمصطلح المورسكيين تصغير شأن هذه الفئة المسلمة داخل أراضيهم، فإن مصطلح المورسكي استقر خلال القرنين السادس والسابع عشر الميلاديين وأصبح الاسم المعتاد لهم (...) ومن هنا يستخدم المصطلح على أولئك الذين طردوا من اسبانيا وعلى أحفادهم، خاصة في بلاد المغرب العربي"[27]. وترتبط هذه القضية بحكاية فاتيما وجدها الذي أجبر على إخفاء إسلامه وادعاء اعتناق المسيحية لكي لا يجبر على التخلي عن دينه أو الابتعاد عن وطنه، ليصارح في نهاية الرواية حفيدته بحقيقة أنها أندلسية مسلمة، مع التأكيد على إخفاء ذلك[28]. ومن هنا تتأكد فكرة بأن على الشخصية "يكون العبء الأول في الإقناع بمدى أهمية القضية المثارة"[29] في الخطاب السردي.

6. أبعاد الرّواية التّاريخية من خلال شخصيات رواية ربيع الأندلس:

تختلف نظرة النقاد إلى الشّخصية الروائية فمنهم "ما يجعلها دالة على الشّخصية المرجع، التي تمتلك حضورها الواقعي، ومنهم من يدركها علامة دالة على البنية الاجتماعية، ومنهم من يتصورها علامة نصية، أي كائنا متخيلا لا يمكن وجوده إلا في النّص"[30]. ومع هذا الاختلاف تبقى الشّخصية هي المعبر الأول عن أبعاد الرّواية، فالشّخصيات هي التي تعكس مختلف أبعادها الدينية والسياسية والاجتماعية، وذلك من خلال ثقافتها، أخلاقها ورؤيتها السياسية[31].

1.6 البعد الديني:

يعد البعد الديني من أبرز وأهم الأبعاد التي عبرت عنها شخصيات الرّواية، وقد تجلى واضحا من خلال ربط الشّخصيات بالعبادات ومختلف السلوكات الدينية، كاهتمام شخصية "عبد الرحمن الثالث" بنشر الإسلام في الغرب من خلال الفتوحات والحروب التي خاضها المسلمون من ناحية، إلى جانب التمسك بما جاء به الإسلام من تعاليم من ناحية أخرى. حيث لا

يستثنى أي طرف مقصر في واجباته الدينية من العتاب حتى وإن كان الخليفة نفسه، وهو ما حدث عندما انشغل عبد الرحمن الثالث ببناء مدينة الزهراء عن صلاة الجمعة، وهو ما دع منذر بن سعيد لعتابه علنا، ليشير ولي العهد بعزله، ليرد الخليفة: "أصمت يا حكم، أمثل منذر بن سعيد في فضله وخيره وعلمه يُعزل لإرضاء نفس ناكبة سالكة غير القصد؟ (...) وإنّي لأستحي من الله ألا أجعل بيني وبينه في صلاة الجمعة شفيعا مثل منذر في ورعه وصدقه (...) بل يصلي بالناس حياته وحياتنا –أن شاء الله تعالى–"[32]. وغير هذا الموقف مواقف كثيرة تكرّس الاهتمام بالعبادات والطاعات والتمّسك بها حبا وإيمانا بأن الدين هو أساس الحياة والرقي والتقدم.

2.6 البعد السياسي:

نقلت شّخصيات الرّواية الأوضاع السياسية التي عرفتها الأندلس في عهد "عبد الرحمن الثالث"، منها ما هو متعلّق بتوتر العلاقة بين الأندلس وباقي دول الغرب والغزوات التي قام بها المسلمون لنشر الإسلام، ومنها ما تعلّق بالأوضاع الداخلية كالفتن التي اعترضت حكم عبد الله بن محمد، ليرث "الناصر لدين الله" بعد جده الملك بما ضمّه من مشاكل رغم حداثة سنه، حيث"لم يكد الأمير الشاب أن يخلع البياض، حتّى جمع قادته ووزراءه (...) وقال في تحدّ وصوت مرتفع: لم تعد خطة التردد والرفق التي اتبعها أجدادي نحو الخوارج والمارقين ذات جدوى، وإنه لابد لاستتباب الأمن واستقرار السكينة من سحق الثورة وزعمائها (...) فإما أن أعيد الأندلس إلى سابق عهدها، وإما الموت على ترابها"[33]. وهو ما فعله حين واجه أعداء الدين والدولة من الداخل والخارج، حتى تجاوز كل ما واجهه واعترض حكمه بقوة العقل والسيف، لتساهم الشّخصية بذلك في تسليط الضوء على ما هو سياسي في فترة من الفترات التّاريخية.

3.6 البعد الاجتماعي:

عكست شّخصيات الرّواية البعد الاجتماعي في أندلس الناصر من خلال إبراز الاختلاف بين "بلاد المسلمين وبين بلاد الغرب"، مبرزة اهتمام الخليفة عبد الرحمن الثالث بالرعية من ناحية المستوى المعيشي، التعليم والصحة، وسعيه لترقية الخدمات إلى أعلى مستوى، حيث "كان عهد الناصر – بالرغم من استمرار الحروب والغزوات– عهد رخاء ويسر، توطدت فيه مالية الدولة وامتلأت خزائنها بالأموال الوفيرة، وزاد الخراج والدّخل زيادة عظيمة باستتباب السكينة والأمن، وازدهار الزّراعة والتّجارة والصّناعة"[34]. ولعل الدين والتعليم شكلا الفيصل في مواجهة القطبين، لأن عصر الأنوار والعلم الذي عرفته الأندلس قابله ظلام الجهل عند الغرب، ويتضح هذا من خلال ما جاء في الرّواية في حوار دار بين الشّخصيتين يوحنا وياسر:

"يوحنا: لقد رأينا في قرطبة ما أذهلنا يا ياسر، فالكتب منتشرة هنا وهناك، فكيف لمليكك أن يسمح للعامة أن يتعلموا؟

ياسر: وما الضير أن يتعلم العامة يا سيدي؟

يوحنا: لو تعلمت العامة زادت مطالبها وعرفت حقوقها (...) وصعب مع ذلك سياستها وقيادتها.

ياسر: هذا عندكم يا سيدي، أما نحن –المسلمين– فالتعليم عندنا أمر ضروري (...) حتى إن الخليفة –حفظه الله– يرعى طالب العلم دون غيره، ويهتم بالعلماء دون غيرهم"[35]. ومما سبق – ومما عرفته شّخصيات الرّواية وعايشته– تتضح أهمية التعليم بالنسبة للمسلمين في الأندلس حاكما ورعية، في مقابل فكر حكام الغرب حول استعباد الرعية والذي مثّل منع التعليم أهم طرقها.

أما ما تعلق بالصحة في إمارة عبد الرحمن الثالث فقد ضمّت المستشفيات كل سبل الراحة، حيث تميزت بوجود "مكتبة وصالون كبير مخصص للمرضى الذين تماثلوا للشفاء، حتى يقضون فيه فترة النقاهة، ويحتوي الصالون على مكتبة خاصّة (...) وجميع غرف المستشفى مزودة بالماء النقي الذي يصل إليها بواسطة أنابين خاصة، وفي كل غرفة مدفأة لأيام الشتاء"[36]. وغيرها من مظاهر النظافة والجمال في المستشفيات التي قدمت شّخصيات الرواية صورة عنها. في حين كانت مستشفيات الغرب ومنها مستشفى باريس يتميز بأن "أرضيته مرصوفة بالطابوق، وقد فرشت بالحشائش اليابسة، حيث كان المرضى يرقدون عليها الواحد جنب الآخر بشكل معكوس (...) وهو مملوء بالذباب والحشرات، تنبعث من أروقته روائح كريهة، حتى أنه كان يتعذر على طبيب المستشفى أن يدخل إلى قاعة المرضى من شدة الروائح النّتنة، لذلك كان يحمل معه إسفنجة مرطبة بالخل يضعها عند أنفه بين الحين والآخر"[37]. ومن هنا يمكن القول أن الشّخصيات ساهمت في تّسليط الضّوء على مفارقة بينّة بين سياسة خليفة المسلمين للرقي بالأوضاع الإجتماعية للناس، في الوقت الذي اهتم فيه ملوك الغرب بنزواتهم والسعي لنهب أموال الشعب دون رادع.

7. خاتمة:

استطاع الرّوائي "محمود ماهر" من خلال رواية "ربيع الأندلس" أن يقدم صورة عن مرحلة من أهم مراحل الحكم الإسلامي في الغرب، هي فترة حكم الخليفة "عبد الرحمن الثالث" في الأندلس، مستثمرا التّاريخ والتّخييل في بناء رواية تّاريخية عبّرت عن فترة تعد من أبرز وأزهى الفترات التي ازدهرت فيها الخلافة الإسلامية.

وفي ختام هذه الورقة البحثية نخلص إلى عدة نتائج هي:

– جمع الرّوائي بين ما هو تّاريخي وما هو متخيل على مستوى مختلف بنيات الرواية، فأما الشخصيات فمنها التّاريخية التي تستند على مرجعية سعى لإبرازها والمحافظة عليها في تشكيل شخصياته، وبين الشّخصيات المتخيلة التي عالج من خلالها عدة قضايا من بينها قضية بناء العالم الإسلامي القديم، وقضية المورسكيين الذين عانوا بعد سقوط الأندلس.

وبالرجوع لبنية الحدث فنلاحظ ذلك التمازج بين الأحداث التّاريخية والمتخيلة والتي تسند في مواضع للشخصيات التّاريخية وللشخصيات المتخيلة في مواضع أخرى.

وأما على مستوى بنية المكان فقد جمعت الرّواية بين المكان المتخيل والتّاريخي، خاصة وأن الرواية عبّرت عن أندلس الحضارة والعلم والدين وعكست التطور الذي عرفته في مختلف المجالات.

– مثلت شخصية "الخليفة عبد الرحمن الثالث" الشّخصية الرئيسة التي ارتبطت بها أهم أحداث الرواية، والتي تناولت أهم محطات حياته، وأهم الإنجازات التي قام بها.

7. قائمة المصادر والمراجع:

- **الكتب:**

أ/ العربيّة:

1. محمود ماهر، ربيع الأندلس، عصير الكتب، ط1، 2019.
2. لطيف زيتوني، معجم نقد الرواية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 2002.
3. سعيد يقطين، قال الراوي البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1.
4. حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء– الزمان– المكان)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990

5. شعبان عبد الحكيم محمد، الرواية العربية (دراسة في آليات السرد وقراءات نصية)، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2014.
6. فيصل دّراج، نظرية الرواية والرواية العربية، المركز ثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2002.
7. عادل العناز، التمثيل التأويلي للتاريخ في الرواية العربية، دائرة الثقافة، دولة الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2019.
8. محمد القاضي، الرواية والتاريخ دراسات في تخييل المرجعي، دار المعرفة للنشر، تونس، ط1، 2008.
9. عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1998.
10. عبد الله إبراهيم، السردية العربية الحديثة تفكيك الخطاب الإستعماري وإعادة تفسير النشأة، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط1، 2013.
11. نادر أحمد عبد الخالق، الشخصية الروائية بين علي أحمد باكثير ونجيب الكيلاني دراسة موضوعية وفنية، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، كفر الشيخ، ط1، 2009.
12. يمنى العيد، الرواية العربية المتخيل وبنيته الفنية، دار الفرابي، بيروت، ط1، 2011.

ب/المقالات:

13. علي مدابي، مسار تفكك الشخصية الروائية قراءة في المنجز النقدي الجزائري المعاصر، مجلة التواصلية، ع10.
14. محمد القاضي، الرواية والتاريخ طريقتان في كتابة التاريخ روائيا، مجلة فصول، مج16، ع4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998.
15. سامية أسعد، عندما يكتب الروائي التاريخ، مجلة فصول، مج2، ع2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1982.
16. محمد هادى مرادى وآخرون، لمحة عن ظهور الرواية العربية وتطورها، مجلة دراسات الأدب المعاصر، ع16، 1391.
17. مرسل العجمي، الرّواية التاريخية في الخليج، مجلة البيان، ع588، 2019.
18. عبد الرشيد الوافي، ريادة علي أحمد باكثير في الرواية التاريخية الإسلامية، مجلة البيان، ع573، 2018.
19. جزاع بن فرجان بن منور الشمري، الشخصية الروائية في (الرقص على أسنة الرماح) للروائية: رحاب أبو زيد، مجلة دراسات وأبحاث، ع29، 2017.

ج/ الأطروحات:

20. كوكب إبراهيم القرعان، الخطاب التاريخي في الرواية الأردنية، كلية الآداب، جامعة اليرموك، 2017/2016.

د/ مواقع الأنترنت:

21. حفصة جودة، عبد اللطيف مشرف، 2018، المورسكيون: صفحات من قضايا التاريخ المنسي. .https//www.noonpost.com

8. قائمة الإحالات:

1- لطيف زيتوني، معجم نقد الرواية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 2002، ص113-114.
2- سعيد يقطين، قال الراوي البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1997، ص87.
3- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء- الزمان- المكان)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990، ص223.
4- علي مدابي، مسار تفكك الشخصية الروائية قراءة في المنجز النقدي الجزائري المعاصر، مجلة التواصلية، ع10، ص222.
5- المرجع نفسه، ص224.
6- المرجع نفسه، ص225.
7- المرجع نفسه، ص226.
8 - محمد القاضي، الرواية والتاريخ طريقتان في كتابة التاريخ روائيا، مجلة فصول، مج16، ع4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998، ص42.
9- شعبان عبد الحكيم محمد، الرواية العربية (دراسة في آليات السرد وقراءات نصية)، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2014، ص185.
10- فيصل دّراج، نظرية الرواية والرواية العربية، المركز ثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2002، ص234.
11 - عادل العناز، التمثيل التأويلي للتاريخ في الرواية العربية، دائرة الثقافة، دولة الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2019، ص34.
12- محمد القاضي، الرواية والتاريخ دراسات في تخييل المرجعي، دار المعرفة للنشر، تونس، ط1، 2008، ص24.
13- عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1998، ص30.
14- ينظر سامية أسعد، عندما يكتب الروائي التاريخ، مجلة فصول، مج2، ع2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،

1982، ص68.

15- المرجع نفسه، ص68.

16- محمد هادى مرادى وآخرون، لمحة عن ظهور الرواية العربية وتطورها، مجلة دراسات الأدب المعاصر، ع16، 1391، ص105-106.

17- عبد الله إبراهيم، السردية العربية الحديثة تفكيك الخطاب الإستعماري وإعادة تفسير النشأة، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط1، 2013، ص252.

18- شعبان عبد الحكيم محمد، الرواية العربية (دراسة في آليات السرد وقراءات نصية)، ص185.

19- محمود ماهر، ربيع الأندلس، عصير الكتب، ط1، 2019، ص343.

20- محمد القاضي، الرواية والتاريخ دراسات في تخييل المرجعي، ص36-37.

21- نادر أحمد عبد الخالق، الشخصية الروائية بين علي أحمد باكثير ونجيب الكيلاني دراسة موضوعية وفنية، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، كفر الشيخ، ط1، 2009، ص51

22- مرسل العجمي، الرّواية التاريخية في الخليج، مجلة البيان، ع588، 2019، ص10-11.

23- يمنى العيد، الرواية العربية المتخيل وبنيته الفنية، دار الفرابي، بيروت، ط1، 2011، ص44.

24- محمود ماهر، ربيع الأندلس، ص24.

25- المصدر نفسه، ص341.

26- عبد الرشيد الوافي، ريادة علي أحمد باكثير في الرواية التاريخية الإسلامية، مجلة البيان، ع573، 2018، ص58.

27- حفصة جودة، عبد اللطيف مشرف، 2018، المورسكيون: صفحات من قضايا التاريخ المنسي، https//www.noonpost.com، شوهد يوم 2021/04/03.

28- ينظر محمود ماهر، ربيع الأندلس، ص10-28، 343- 348.

29- نادر أحمد عبد الخالق، الشخصية الروائية بين علي أحمد باكثير ونجيب الكيلاني دراسة موضوعية وفنية، ص40.

30- جزاع بن فرجان بن منور الشمري، الشخصية الروائية في (الرقص على أسنة الرماح) للروائية: رحاب أبو زيد، مجلة دراسات وأبحاث، ع29، 2017، ص56.

31- ينظر: كوكب إبراهيم القرعان، الخطاب التاريخي في الرواية الأردنية، كلية الآداب، جامعة اليرموك، 2017/2016، ص196.

32- محمود ماهر، ربيع الأندلس، ص339.

33- المصدر نفسه، 134.

34- المصدر نفسه، ص342.

35- المصدر نفسه، 321-322.

36- المصدر نفسه، ص287-288.

37- المصدر نفسه، ص288.